الاصول التاريخية باسماء محلات بغداد

10

شخصيات في ذاكرة العراقيين

11

ذاكرة عراقية

9

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن
مؤسسة المدى للاعلام والثقافة
والفنون

العدد (1288) الاثنين (4) آب 2008
NO. (1288) Mon . (4) Aug

ماذا قال محسن السعدون قبل انتحاره ؟

الأمة تطالب بالخدمة والانكليز لا يوافقون

كانَ عبدالمحسن السعدون قد امضى شبابه في اسطنبول بوظيفة (المابين) وهي وظيفة شرفية وتعني الياوران او التشريفات يمنحها السلطان لابناء الرؤساء والامراء في الامبراطورية العثمانية ، وهي في حقيقتها ارتهان لابناء الامراء والشيوخ كي لا يثوروا على السلطة فيبقى الابناء في اسطنبول باسم المابين ، ومن الرؤساء الكبار ذوي النفوذ والثائرين دوما هم رؤساء قبيلة المنتفك (السعدون) وقد اعدم وسجن كثير منهم

وكان عبدالمحسن السعدون ضعيف البنية عصبي المزاج وحين قدم الى العراق اعتمده الملك فيصل كسياسي محترم واختاره رئيسا للوزراء ومجلس النواب عدة مرات وكان يلاقي معارضة من بعض المتنفذين الذين يسعون الى المنافع الشخصية كما اعتادوا وهو يرفض ذلك حفظا لسمعته وكرامته وكانوا يتربصون به ليوقعوه في مشكلة ويقال ان الموظف المتقاعد الذي طعن السعدون بالسكين حين صعوده الى مجلس الوزراء كان بتحريض من بعض السياسيين الذين استغلوا حاجة هذا المتقاعد الى عون غير قانوني على ان السعدون عفا عنهم وتخلى عن دعواه وكانت المشكلة السياسية الكبرى بين العراق وبريطانيا هي مشكلة تعديل المعاهدة العراقية - البريطانية واراد السعدون تعديلها بما يفيد العراقيين ويخفف من قيودها، واصر الانكليز على الرفض وفي احدى جلسات مجلس النواب اتهمه بعضهم بكلمات جارحة بالخيانة واهدار حقوق البلاد لكي يثور ويستقيل وفي المساء كان السعدون يرتاد نادي ضرب التقدم الذي يضم الوزراء والنواب وصائدي الوظائف والمنافع وكان يلعب الورق في بعض الاحيان، واعاد بعضهم ذكر مناقشة مجلس النواب وهاجمه النائب معروف جياوك بكلمات جارحة وكانت اعصابه ثائرة منذ الصباح علاوة على انه وصل الى النادي وهو منزعج عائليا بصورة افقدته توازنه فترك النادي هائجا وقرر الانتحار وكتب وصيته باللغة التركية التي كان يحسنها اكثر من العربية بسبب اقامته الطويلة في اسطنبول اطلق على نفسه الرصاص في البيت الذي كان يستأجره في شارع ابي نواس (كردالباشا) وهب الناس صباحا على الخبر غير مصدقين فلم يسبق ان انتحر وزير او موظف كبير او رئيس وزراء في دولة من دول المشرق العربي.

ونشرت الجرائد ملاحق فيها صورة الوصية بالزنكوغراف مع ترجمتها الى اللغة العربية. وكانت تبدأ بالتركية ايكي (كوزم ياورم مادار استناوم علي) ومعناها (ياعيني الاثنين ياسندي علي) وعلي هو ابنه ثم الجملة المشهورة في وصيته وهي (امت خدمت بكليور انكليزلر موافقت ايتم يور) ومعناها (الامة تطلب الخدمة والانكليزي لا يوافق) وجرى تشييع السعدون بشكل مهيب وعلى عربة مدفع ودفن في جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني وخوفا من تشكيك الناس في الحادث الانتحاري فقد وقع الوزراء تحت الوصية بتواقيعهم وشهاداتهم ومنهم ناجي شوكت وتوفيق السويدي وعبدالعزيز القصاب وغيرهم واقيمت حفلة تأبينية كبرى بمناسبة الاربعين في نفس الجامع والقى الشعراء قصائدهم ومنها قصيدة الرصافي التي مطلعها

هب الاسى في قلوب الشعب مستعرا.

ثم قصيدة الشيخ العلامة بهجت الاثري التي اسميناها قصيدة (يد تحيي ويد في الحسام) كناية عن السياسة البريطانية التي قال الشاعر في وصفها:

ظاهرها فيه لنا رحمة
والويل في باطنها والعذاب

ثم قصيدة الزهاوي الفلسفية والتي قال فيها:

ليل وزوبعة وبحر هائج
انا لا ارى ان السفينة تسلم

وعم الحزن والاسى جميع الناس وبقوا طويلا يتذكرون هذه المأساة والتي ضحى فيها رجل كريم بنفسه في سبيل فكره. وتجدد حزنهم بعد ان مات ابنه الوحيد علي منتحرا ايضا وماتت ابنته في حادث اصطدام دراجة بخارية واكراما للسعدون قدمت الحكومة بيتا يقع على نهر دجلة مقابل مخزن حسو اخوان وقريبا من وزارة الاقتصاد وافرزت قطعة كبيرة من الارض وسمتها محلة السعدون (المعروفة الان) ووزعت قطعها على الناس بثمن وهب الناس لجمع التبرعات لصنع تمثال السعدون ينصب في احدى ساحات بغداد وتبرع الناس بمبالغ طيبة دفعوها الى اللجنة المكلفة بالجمع وبعد تدقيق الحساب وجد ان المجموع الموجود ينقص نحو ثلاثين الف روبية. وقد جرى التحقيق بذلك وتقرر سوق المسؤول الى المحكمة وكان شخصا وجيها في بغداد وسترا للفضيحة فقد استشير القانوني الشهير صاحب الفتاوى حمدي صدر الدين فاشار على الحاكم المختص بان هذه القضية هي مدنية وليست جزائية وعلى كل متبرع ان يقيم الدعوى ويطالب بما تبرع به وهذا غير قابل للتنفيذ وهكذا لفلفت القضية ولكن الحكومة بعدئذ عملت التمثال في ايطاليا ولم يزل قائما في ساحة الباب الشرقي.

ولم تمض مدة طويلة حتى انفجرت مأساة اخرى في عائلة السعدون، حين اقدم عميدهم عبدالله الفالح السعدون على قتل عبدالله الصانع مدير الداخلية العام في مكتبه بوزارة الداخلية في اثناء الدوام الرسمي وكان السبب في ذلك هي ان عبدالله الصانع بن أحمد باشا الصانع. صديق العائلة السعدونية، وقد خطب بنتاً سعدونية للزواج منها فرفض آل السعدون ذلك بحجة عدم التكافؤ بين العائلتين، خصوصاً ان السعدون بعكس الصانع التي كانت معتمدة على وجاهتها في البصرة وصداقة أحمد باشا لعائلة السعدون وان الخاطب هو مدير الداخلية العام، وتلاسنا في الدائرة واضطر فالح السعدون الى قتل الصانع، واحتارت الحكومة في الأمر، فالقاتل والقتيل في مركزين كبيرين عشائريا وحكوميا، وانتهت القضية عشائريا ودخل السعدون السجن مكرماً، ولمركزه وكبر سنه فقد أصدر الملك فيصل الاول عفوا خاصا بعد قضائه مدة يسيرة في السجن وصدور تقرير طبي من لجنة طبية بان حالة عبدالله الفالح السعدون الصحية لا تسمح له بالبقاء في السجن.

عبد المحسن السعدون

كيف اخفق المدفعي والأيوبي في ترشيح الأمير زيد وصياً على العرش؟

احاطتْ بمقتل الملك غازي في ٤ نيسان ١٩٣٩ ظروف غامضة ، تطرق اليها العديد من الباحثين والكتاب ، وعقب مقتله مباشرة اوعز نوري السعيد رئيس الوزراء الى الملكة عالية ، ان ترفع كتابا الى مجلس الوزراء المنعقد بعد حادثة مقتل الملك غازي للنظر في ترشيح وصي على عرش العراق

جميل المدفعي

د. عبد الله حميد العتابي

، تشهد فيه ان الملك غازي قد اوصى اليها اذا وقع امر على حياته، فالوصي على العرش هو عبد الاله، وقرر مجلس الوزراء فعلا بتسمية عبد الاله وصيا على العرش بتاريخ ٤ نيسان ١٩٣٩، بناء على الوصية المذكورة، نص القانون الاساسي الذي يوافق على تنصيب الوصي على العرش استنادا الى المادة (٢٢) من القانون المذكور، وكذلك دعوة مجلس النواب المنحل تمهيدا لاجتماع مجلس الامة، واعلان الحداد العام في المملكة اربعين يوما وتنكيس الاعلام سبعة ايام.

مما لاشك فيه ان هذه المساندة من نوري السعيد لعبد الاله، توضح بشكل جلي التفاهم بين نوري السعيد وعبد الاله على مجريات الاحداث اللاحقة.

ولابد من الاشارة هنا الى ان حادثة مقتل الملك غازي احيطت بالسرية والغموض، ولم تتضح تفاصيل الحادث للرأي العام العراقي وبدأت الاقاويل والتهم تكال لنوري السعيد وعبد الاله، ومهما تكن النتائج التي تم التوصل اليها في هذه الحادثة، فان تصور الانكليز وانطباعهم، ان الملك غازي قد طغت عليه الروح الوطنية العسكرية، وانه اتخذ من اذاعته وسيلة لتبني الموقف المناوئ لهم. وان النشاط الالماني المعادي للانكليز بدأ هو الاخر يستقطب ميل الملك الى جانبهم ضد بريطانيا وفرنسا في العراق وبقية الاقطار العربية ويرتبط هذا الاستنتاج في حقيقة مع موقف نوري السعيد وحقده على الملك غازي، الذي اصبح حديث الناس على الصعيدين الرسمي والشعبي، واخذت الجماهير تهمس بان الاستخبارات الانكليزية ونوري السعيد دبرا مقتل الملك غازي وبدأت بتوزيع المنشورات التي تتهم الانكليز ونوري السعيد باغتيال الملك، واخذت تهتز باهازيج تتهم الوزارة بذلك.

وفي يوم ٦ نيسان دعي مجلس النواب المنحل الى الاجتماع للموافقة على تسمية مجلس الوزراء والامير عبد الاله بن علي وصيا على العرش ولما اجتمع مجلس الامة بعد الحادثة كان قادة الجيش في بهو وزارة الدفاع يصغون الى المذياع، فقد رأى وزير الدفاع طه الهاشمي الا يحضر احد من رجال الجيش الى المجلس، لكي لا يقال ان الجيش قد تدخل وارغم المجلس على اتخاذ قراره في قرار الوصي.

ولعل من المفيد التوقف عند وجهة نظر الدكتور عبد الله الجوراني في مسألة الوصاية، اذ اثارت وصاية عبد الاله الانقسام بين رجال السياسة البارزين فأيد قسم منهم احقية الامير زيد، الا ان نوري السعيد، وكبار القادة العسكريين كانوا قد اتفقوا على ترشيح عبد الاله لوصاية عرش العراق في اجتماع مجلس الامة.

تمت الموافقة على وصاية عبد الاله بالاجماع، برغم ان وجهة نظر المعارضة المتمثلة بجميل المدفعي وعلي جودت الايوبي، كانت ترى ان يكون الامير زيد وصيا على العرش، اذا اريد خير البلاد وسعادتها، ولكن حينما فشلا بذلك قالا:المجالس امانات.

اذ كانا يخشيان ان ينقل شيء من موقعهما الى عبد الاله.

وهكذا تهيأت الفرصة لوزارة نوري السعيد في قرار عبد الاله وصيا على العرش، وقد تحدث في الجلسة المشتركة بصفته رئيسا للوزراء وقتذاك، واعقبه بالحديث رئيس مجلس الاعيان (محمد الصدر)، وتلا كتاب الوزارة المتضمن نصوص المادتين (٢٠، ٢٢) من القانون الاساس العراقي حول ولاية العهد والوصاية، ووافق المجلس على تنصيب عبد الاله وصيا على الملك فيصل الثاني.

أول رئيس للوزراء في العراق

هواه مع العثمانيين ورغبته أن يكون ملكاً على العراق

لمْ تكنْ ثورة العشرين لتمر مرور الكرام في التاريخ العراقي المعاصر، بل على العكس من ذلك تماما، كانت ثورة ذات اهمية كبيرة في الحياة السياسية للشعب العراقي حيث اوصلت رسالة قوية الى المحتل الانكليزي مفادها ان وجودهم في العراق غير مرغوب فيه ولا بد من ان يأخذ طريقه الى وجود من خلال سلطة تدير شؤونه المحلية، فكانت الحكومة العراقية المؤقتة والتي ترأسها السيد عبد الرحمن النقيب بتاريخ ٢٥/تشرين الاول/ ١٩٢٠م، أي بعد اشهر قليلة من اندلاع الثورة ووصولها الى الذروة في حزيران ١٩٢٠م.

لم تكن الحكومة المؤقته لتكفي اذ لا بد من الاستمرارية في العمل السياسي للوصول الى ادارة ثابتة وحكومة ذات سلطات تدير شؤون العراق كما حصل من قبل مع سوريا التي كان يحكمها الملك فيصل في الفترة التي نشبت فيها الثورة وقبلها وبعدها حتى تسلمه عرش العراق في آب١٩٢١م، لذلك عملت الحكومة البريطانية على قيام مؤتمر القاهرة في آذار/١٩٢١م، الغرض منه مناقشة وضع العراق وبلاد الشام والعمل على ايجاد حكومات عربية تحكمها وفق الدستور وسنأتي على ذكر التفاصيل لاحقا.

على الرغم من ان النقيب لم يكن من المؤيدين لثورة العشرين، اذ كان هواه عثمانيا اولا، ثم تعامل مع الانكليز بدبلوماسية هادئة لكبر سنه ولتأثير الجانب الديني عليه وخاصة ما يتعلق بنظرية الحق الآلهي التي كانت سائدة في تلك الفترة، الا ان المرحوم محمود صبحي الدفتري قد ابلغ الدكتورة رجاء الخطاب في مقابلة اجرتها معه يوم ٢٦/ ٤/ ١٩٦٨م أن بعض اطراف الثورة حاولوا الاتصال بالنقيب عشية اندلاع نيرانها، وقد جاء ذلك في كتابها عبد الرحمن النقيب، حياته الخاصة وآراؤه السياسية،ص, ٢٠

تشكلت وزارة المرحوم عبد الرحمن النقيب الكيلاني (المؤقتة) وباشرت أعمالها للفترة من ٢٥/ ١٠/ ١٩٢٠ وحتى ٣/ ٨/ ١٩٢١م وقد تكونت من الوزارات الثماني الآتية، وزارة الداخلية، وزارة الدفاع، وزارة المالية، وزارة العدل، وزارة التربية والصحة، وزارة التجارة، وزارة الاشغال العامة والمواصلات، وزارة الاوقاف.. نعود الى مؤتمر القاهرة والذي جاء كما اشرنا برغبة من بريطانيا بحكم الاوضاع التي فجرتها ثورة العشرين حيث ارتأت ايجاد الحكم نظام حكم ثابت للعراق وحينها تم طرح الأسماء الآتية لأختيار احدهم لعرش العراق:

ا. عبد الرحمن النقيب، ب . طالب النقيب، ج . شيخ المحمرة، د. عبد العزيز بن سعود، هـ . الاغا خان، و. برهان الدين وهو امير تركي. وقد جاء في كتاب عبد الرحمن النقيب، حياته وآراءه السياسية: ما يأتي (نوقشت قائمة المرشحين من قبل اللجنة السياسية حيث اوضح السر برسي كوكس . سفير بريطانيا في العراق . للجنة بان الرأي العام المحلي لن يوافق على مرشح محلي، وهذا يعني ان السيدين عبد الرحمن النقيب وطالب النقيب لن يكون لهما مجال في الوصول الى عرش العراق، اما ما يخص شيخ المحمرة فأنه لم يتمتع بتأييد واسع في حين ان ترشيح ابن مسعود ولم يكن واردا لأسباب دينية، اما الاغا خان وبرهان الدين فأنهما غير مرغوب فيهما لانهما غير عربيين، فلذلك اصبح التوجه بوجوب اختيار حاكم عربي، فأتفق المؤتمرون في القاهرة على تشكيل حكومة محلية تتمتع بشهرة وسلطة).

ويتبين من خلال ما جاء اعلاه ان اسم الملك فيصل الاول لم يكن مطروحا من ضمن الاسماء المرشحة لتولي عرش العراق، لكن عليه التركيز على ضرورة البحث عن حاكم عربي من جهة وعدم فائدة الاسماء اعلاه من حكمها للعراق للأسباب المبنية، من جهة اخرى اقتنعت اللجنة بضرورة اختيار حاكم عربي ملكا على العراق على ان يكون احد ابناء الشريف حسين، والملك فيصل بالذات، اما ما يتعلق بعبد الرحمن النقيب فهو فضلا عن السبب اعلاه الذي طرحه السر برسي كوكس (والذي لا اعرف مدى صحته اذ فيه شيء من الأستهانة بالرأي المحلي) فأن بريطانيا هي الأخرى لم تحبذه لكبر سنه اولا ولغياب تأثيره في عموم العراق لكونه احد رموز بغداد فقط..

عبد الرحمن النقيب